تقديم

ماذا يريد الإنسان .... ؟

إنه يريد - أولا - تحقيق مطالبه الفطرية والغريزية . . .

ثم هو يريد الأمن والسلام والحرية ، والفرح ، والمتعة ، والحياة المستمرة . . .

إنه - باختصار - يريد السعادة الأبدية .

وهو بالطبع لا يريد مضادات السعادة الأبدية من أحزان وآلام وموت وعذاب. . .

إن الإنسان لا يريد الشقاء .

والمؤمنون - كبشر - ليسوا خروجا عن هذه القاعدة ، فهم يبحثون عن السعادة ويسعون جاهدين من أجلها ، وان اختلفت مفاهيمها لديهم - فى بعض الأحيان - عن تلك التى يسعى من أجلها غيرهم .

وتحدثنا الكتب المقدسة عما يسعد الإنسان ويشقيه ، فتعده بالأولى إذا سار مع الله ، وتوعده بالثانية إذا تمرد على المنهج الالهى ، وجعل الشيطان له قرينا .

ونتبين من التوراة مطالب السعادة التى يرجوها الإسرائيليون ، وذلك من أقوال الرب التى جاء بها موسى :

« إذا سلكتم فى فرائضى وحفظتم وصاياى وعملتم بها : أعطى مطركم فى حينه ، وتعطى الأرض غلتها . . فتأكلون خبزكم وتسكنون فى أرضكم آمنين . . وتطردون أعداءكم بالسيف . . وألتفت إليكم وأثمركم وأفى ميثاقى معكم . . وأكون لكم إلها وتكونون لى شعبا » . (لاويين ٢٦ : ٣ ـ ١٢)

كما تحدد لنا التوراة عناصر الشقاء التى يحذرها الإسرائيليون ، من قول الرب :

« لكن إن لم تسمعوا لى ، ولم تعملوا كل هذه الوصايا ، وإن رفضتم فرائضى، وكرهت أنفسكم أحكامى . . فإنى أعمل هذه بكم : أسلط عليكم رعبا وسلا وحمى تفنى العينين وتتلف النفس ، وتزرعون باطلا زرعكم فيأكله أعداؤكم وأجعل وجهى ضدكم فتنهزمون أمام أعدائكم ويتسلط عليكم مبغضوكم . . وأصير سماءكم كالحديد وأرضكم كالنحاس . . وأصير مدنكم خربة . . وأذريكم بين الأمم ، وأجرد وراءكم السيف فتصير أرضكم موحشة . . والباقون منكم القى الجبانة فى قلوبهم فى أرض أعدائهم . . فتهلكون بين الشعوب وتأكلكم أرض أعدائكم» .(لاويين ٢٦ : ١٤ - ٣٨)

ومن هنا نتبين أن السعادة والشقاء فى دين الإسرائيليين - وهو ما اصطلح على تسميته باليهودية - إنما هى أمور تتعلق بالحياة الدنيا .

فاليهودى لا يرجو إلا نعيم الدنيا ، وهو لا يحذر إلا شقاءها .

أما الإنجيل ، فلا ترجى فيه السعادة إلا فى الحياة الآخرة ، فلقد قال المسيح فى موعظته الشهيرة :

« طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله . طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تشبعون ، طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون »(لوقا ٦ : ٢٠ - ٢١)

« لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ . . بل اكنزوا لكم كنوزا فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ » (متى ٦ : ١٩ - ٢٠)

كذلك لا يحذر الإنسان شقاء إلا شقاء الآخرة :

« إن أعثرتك يدك فاقطعها . خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن تكون لك يدان وتمضى إلى جهنم إلى النار التى لا تطفأ ، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ.

وأن أعثرتك رجلك فاقطعها . خير لك أن تدخل الحياة أعرج من أن تكون لك رجلان وتطرح فى جهنم فى النار التى لا تطفأ، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ ».

وإن أعثرتك عينك فاقلعها . خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان وتطرح فى جهنم فى النار التى لا تطفأ، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ ».

(مرقس ٩ : ٤٣ - ٤٨)

ويذكر الإنجيل بوضوح على لسان المسيح ، أنه محال الجمع بين نعيمى الدنيا والآخرة.

ولذلك كانت حملته شديدة على الأغنياء وأصحاب الممتلكات الدنيوية، إذ اعتبرهم قد استوفوا نعيمهم فى الدنيا ، ولم يبق للأغلبية الساحقة منهم - إن لم يكونوا جميعهم - سوى عذاب الآخرة :

« لا يقدر أحد أن يخدم سيدين . . لا تقدرون أن تخدموا الله والمال .

« لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وما تشربون ، ولا لأجسادكم بما تلبسون » . (متى ٦ : ٢٤ - ٢٥)

« ما أعسر دخول ذوى الأملاك إلى ملكوت الله . . مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله ». (مرقس ١٠ : ٢٣ - ٢٥)

وأما فى القرآن ، فيستطيع المسلم أن يحصل على السعادة فى الدنيا والآخرة :

﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ (٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢) ﴾ . (البقرة : ٢٠٠ - ٢٠٢)

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ ... وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ ... وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾ .

(الفرقان : ٦٣ - ٧٦)

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... ﴿٣٢﴾ ﴾ . (الأعراف : ٣٢)

ولقد جمع إبراهيم أبو الأنبياء بين خيْرى الدنيا والآخرة ، إذ قال الله فيه:

﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ . (العنكبوت : ٢٧)

وعلى المسلم أن يقيم علاقات متوزانة بين مطالب الدنيا والآخرة كل على قدره ، فيحصل بذلك على السعادة فيهما ، ولذلك سجل القرآن الكريم هذا القول الحكيم :

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ . (القصص : ٧٧)

ولم يكلف المؤمنون بالله أن يعذبوا أنفسهم فى الدنيا على أن يعوضوا عن ذلك فى الآخرة ، فلهم أن يعملوا لسعادتهم فى الدنيا بجانب عملهم لسعادة الآخرة :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾. (الأعراف : ٩٦)

وكان قول هود لقومه عاد :

﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ . (هود : ٥٢)

وحين يتمرد الإنسان على منهج الله فعليه أن يتوقع الشقاء ، لا فى الآخرة فحسب بل فى الدنيا كذلك :

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) ﴾ . (الروم : ٤١)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ . (النور : ١٩)

﴿ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ .

(التوبة : ٧٤)

هذا - ولما كانت الحياة الآخرة حياة الأبد ، وكانت الحياة الدنيا قصيرة فانية، كان على المؤمن العاقل أن يوجه همه إلى الآخرة .

وأن يستخدم الدنيا وسيلة تعينه على تحقيق سعادته فى الآخرة .

من أجل ذلك كان على المسلم أن يعترف بسعادة الدنيا والآخرة ، ولكن عليه أن يؤثر ما فى الآخرة على الدنيا ، وعليه كذلك أن يعترف بشقاء الدنيا والآخرة ، إلا أن ما فى الآخرة أشد وأقسى :

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١) ﴾ ..

(النازعات : ٣٧ - ٤١)

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) ﴾ . (القصص : ٨٣)

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢) ﴾

(الأنعام : ٨٢)

﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٧) ﴾ .

(الأنعام - ١٢٧)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٨) خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩) ﴾ . (لقمان : ٨ - ٩)

وخلاصة القول فى النظر إلى سعادة الإنسان وشقائه ، أنها فى اليهودية دنيوية بحته .. وهى فى المسيحية أخروية فحسب ، بينما هى فى الإسلام تجمع بين هذا وذاك مع ترجيح ما فى الآخرة على ما فى الدنيا .

وأيا كان الحال ، فكيف يحقق الإنسان المؤمن بالله سعادته المنشودة - أو على الأقل كيف يتخلص من الشقاء فى حاضره ومستقبله ؟

لقد أجمعت الكتب المقدسة على أن المدخل الوحيد لذلك هو باب البر ومشتقاته .

على الإنسان أن يكون بارا لكى تلفظ حياته الشقاء ويحيا أبدا فى النعيم .

عندئذ يتحرر من كل الشرور والأهوال ، ولو كانت أهوال الآخرة :

﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ(١٠٣) ﴾

(الأنبياء : ١٠٣)

فالبر صفة من صفات الله ، بهذا قال المسيح :

« أيها (الرب) البار ، إن العالم لم يعرفك .. وهؤلاء عرفوا انك أرسلتنى » .

(يوحنا ١٧ : ٢٥)

وكان الأنبياء بررة هكذا :«كان نوح رجلاً بارا كاملا فى أجياله . وسار نوح مع الله»

(تكوين ٦ : ٩)

ولذلك لم يهلكه الله مع الهالكين فى الطوفان :

« وقال الرب لنوح ادخل انت وجميع بيتك إلى الفلك ، لأنى إياك رأيت بارا لدى فى هذا الجيل » . (تكوين ٧ : ١) »

وكان إبراهيم بارا ، وقد استحق هذا اللقب وما يترتب عليه من عطاء إلهى كريم ، بعد آن آمن بصدق الوعد الالهى بتكثير نسله ، فى الوقت الذى ما زال فيه عقيما، وكان نسله بظهر الغيب :

« أخرجه (الرب) إلى خارج وقال له انظر إلى السماء وعد النجوم . إن استطعت أن تعدها وقال له هكذا يكون نسلك :

فآمن بالرب ، فحسبه له براً ». (تكوين ١٥ : ٥ - ٦)

وفى هذا يقول بولس :

« إذ لم يكن (ابراهيم) ضعيفا فى الإيمان لم يعتبر جسده وهو قد صار مماتا إذا كان ابن نحو مئة سنة .. ولا بعدم إيمان فى وعد الله ، بل تقوى بالإيمان معطيا مجدا لله وتيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضا . ولذلك أيضا حسب له برا » .

(رومية ٤ : ١٩ - ٢٢)

وشهد إبراهيم للوط ومن معه من المؤمنين بأنهم أبرار ، ولذلك كان يجادل الملاك الذى جاء لإهلاك المدينة الظالمة ويقول له :

« أفتهلك البار مع الأثيم . عسى أن يكون خمسون بارا فى المدينة ، أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين بارا الذين فيه ؟! » . (تكوين ١٨ : ٢٣ - ٢٤)

وتقول المزامير :

« لا تقوم الأشرار فى الدين ولا الخطاة فى جماعة الأبرار . لأن الرب يعلم طريق الأبرار ، أما طريق الأشرار فتهلك » . (مزمور ١ : ٥ - ٦)

« كلمة الرب مستقيمة ، وكل صنعه بالأمانة ، بحسب البر والعدل » .

(مزمور ٣٣ : ٤ - ٥)

وكان يوسف النجار خطيب مريم بارا :

إذ « لما وجدت (مريم) حبلى من الروح القدس ، فيوسف رجلها إذ كان بارا ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا » . (متى ١ : ١٨ - ١٩)

وكانت عقيدة المؤمنين بالمسيح فى عصره أنه إنسان بار :

« فلما رأى قائد المئة ما كان ، مجد الله قائلا : بالحقيقة كان هذا الإنسان بارا ».

(لوقا ٢٣ : ٤٧)

وفى القرآن الكريم نجد أن الأصل اللغوى للبر يكون احدى صفات الحق سبحانه :

﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ . (الطور : ٢٨)

كما أنه من صفات الملائكة ، كما قال تعالى :

﴿ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ . (عبس : ١٢ - ١٦)

والبر من صفات الأنبياء ، كما قيل فى شأن يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم:

﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ ﴾ . (مريم : ١٤)

﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾ . (مريم : ٣٢)

ولذلك كان دعاء المؤمنين - وما زال - هو أن يكون عاقبة أمرهم مع الأبرار:

﴿ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾ . (آل عمران: ١٩٣)

وما ذلك إلا لأن الأبرار لهم خير عقبى وأكرم مستقر :

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) ﴾ . (المطففين : ٢٢ - ٢٤)

ومن المتفق عليه بين المسيحية ، والاسلام أن البر باعتباره السبيل الوحيد للخلاص ، يتركب من نواة هي الإيمان تغلفها الأعمال الصالحات ، وكما تنهار الذرة إذا تحطمت نواتها، كذلك ينهار البر إذا فقد الإيمان .

« أيها الإنسان . . إن الإيمان بدون أعمال ميت . ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم ابنه . . على المذبح . فترى أن الإيمان عمل مع أعماله وبالأعمال أكمل الإيمان » .

(يعقوب ٢ : ٢٠ - ٢٢)

والقول الفصل في حقيقة البر ، هو ما يقوله القرآن الكريم :

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) ﴾ . (البقرة : ١٧٧)

ومن هذا نتبين أن البر مرادف للتقوى والصدق مع الله ، وأن الأساس الذى يقوم عليه هو الإيمان بالله . فالإيمان أصل الأصول وجوهر الحقيقة ، وبدون الإيمان يتحقق دمار الإنسان ، ولا يتحقق الإيمان بالله إلا بتوحيده توحيدا خالصا من كل شرك ، وتنزيهه - سبحانه - عن الشبيه والمثيل .

لقد عرفت البشرية الإيمان عن طريق الأنبياء والمرسلين ، وهؤلاء تلقوه وحيا من الله بطرق شتى ، كانت للملائكة فيه اليد الطولى . ولقد وصل وحى الله إلى الناس شفاها وكتابة ،ثم جمع وسجل فى كتب مقدسة ومن ثم كان على المؤمنين بالله أن يؤمنوا كذلك بالملائكة والوحى ، ودعاة الهدى من الأنبياء والمرسلين ، وأن يؤمنوا بكتب الله المنزلة من عنده الخالصة من التغيير والتبديل .

من أجل ذلك نستفتح هذه السلسلة : دراسة فى الأديان - بهذا الكتاب الذى يتحدث فى فصليه الأول والثانى عن ركيزتين من ركائز الإيمان هما : الملائكة والوحى ، ثم زيد عليهما فصل ثالث يتحدث عن الجن ، تلك المخلوقات الخفية التى يعتبر الإيمان بها من نتائج

الإيمان بالدين . وإذا كان إنسان القرن العشرين يتطلع إلى اكتشاف عوالم غريبة عنه فى جنبات الكون الواسع الرهيب ، فكيف به يتنكر لعالم الجن القريب منه حسبما أخبرته بذلك الكتب المقدسة .

لا شك أن الإيمان بوجود الجن يحل للإنسان كثيرا من المشاكل والألغاز التى قد تحير فكره وتوقعه فى متاهات من الألاعيب والأوهام.

ومن المتفق عليه بين اليهودية والمسيحية والإسلام أن قوة الإيمان تتجلى فى التصديق بالأمور الغيبية . وركنه الركين هو الإيمان بالله ، فانه سبحانه لم ينظره أحد قط .

﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) ﴾ .

(الأنعام : ١٠٣)

فالحق - جل جلاله - لا يدركه الإنسان إلا ببديع خلقه وآثار رحمته ، وجبروت قوته، وعظائم أمره .

والملائكة والوحى والنبوة تعتبر - بوجه عام - من الأمور الغيبية التى تتطلب الإيمان بها ، وهو إيمان يقوم على كونها حقائق بجانب اعتبارها عوامل ضرورية تدفع الإنسان للإيمان بالله ، وهى حقائق تدرك وليس من اللازم أن ترى ، تماما كما أن قوى الطبيعة من مغنطيسية وجاذبية تدرك ولا ترى ، وقد أوجبت الكتب المقدسة الإيمان بها.

« أما الإيمان فهو الثقة بما يوحى والإيمان بأمور لا ترى ، فإنه فى هذا شهد للقدماء .. بالإيمان نوح لما أوحى إليه عن أمور لم تر بعد خاف فبنى فلكا لخلاص بيته ، فيه دان العالم وصار وارثا للبر للذى حسب الإيمان . (عبرانيين ١١ : ١ - ٧)

ويقول الإنجيل :

«طوبى للذين آمنوا ولم يروا . (يوحنا ٢٠ : ٢٩)

ونقرأ فى القرآن الكريم بعد فاتحة الكتاب هذه الآيات التى تقرر جماع الأمر كله :

﴿ الٓمٓ (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) ﴾ . (البقرة : ١ - ٥)

وفى جميع الأحوال لابد أن يقوم الإيمان على برهان ، و إلا فسدت العقائد ، وسار كل حسب هواه .

ومن البراهين التى أقامها القرآن للناس على وحدانية الله - تعالى - قوله :

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣) أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٤) ﴾ . (الأنبياء : ٢٢ - ٢٤)

والله أسأل أن يهدى الناس إلى الإيمان الحق ، فيتحقق فيهم قول الحق :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤) ﴾ . (الأحقاف : ١٣ - ١٤)

القاهرة فى : ربيع الأول ١٣٩٩ هـ

الموافق مارس ١٩٧٩ م

مهندس

أحمد عبد الوهاب

obeikandl.com